المبحث الرابع

أســـــــــــــتراليا

لقد ظهر الانسان البائد والعاقل في العالم القديم وانتشر في كل من قارة افريقية وآسيا واروبا · اما في استراليا فلم يظهر سوى الانسان العاقل وفي وقت متأخر نسبيا فقد وجدت في تالكي(٤٠) Talgai في كوينزلند جمجمة له مشابهة لجمجمة انسان واجاك في اندونيسيا ومشابهة لجماجم الاستراليين الاصليين كما وجدت جمجمة أخـرى لنفس السـلالة كوهونا(٤٠) Cohuna بمقاطعة فكتوريا بجنوب شرق استراليا غير ان أهم المكتشفات في استراليا هي الجمجمة التي وجدت في كيلور(٤٠) Keilor على بعد ١٥ كيلو مترا من ملبورن في سنة ١٩٤٠ ويعود تاريخها لآخر فترة غير جليدية باوربا وقيل انها تحمل صفات طسمانية واسترالية · ولا ريب في ان أول من وصل استراليا من جنوب شرق آسيا قد عبر حاجزا بحريا بواسطة الزوارق التي لم يكن لا الانسان القرد المنتصب القامة ولا انسان نياندرتال ولا الانسان العاقل في مراحله الاولى على علم بكيفية صنعها واستخدامها ولذلك بقيت هذه القارة خالية من اثار الانسان الى ان نزل بها في اواخر عصر البلايستوسين ·

وعندما اكتشف الاوربيون هذه القارة لاحظوا ان اقل الناس تطورا فيها هم اهل جزيرة طسمانية(٤١) الذين لم يستطيعوا معاصرة الغـــــزو الحديث حتى لمدة ثلاثة اجيال فانقرضوا قبل ان يكتمل سجل حضارتهم · لقد كان الطسمانيون عندما وفد عليهم المستعمرون الاوربيون يعيشون في مستوى العصر الحجري القديم معتمدين بشكل محدود على ما يجمعونه من جذور وثمار النباتات وعلى ما يصيدونه من حيوانات · وكانت عدتهم من حيث الآلات والادوات قليلة العدد ولم يعرفوا القوس والسهم وكان اقوى سلاح عندهم العصا التي تنتهي برأس حجري ثقيل أو الرمح أو الحربة

Scanned by CamScanner

التي يحرقون نهايتها لجعلها مدببة وصلبة . وكانوا ينتقلون بمجموعات قليلة العدد من مكان لآخر في ارجاء القارة الواسعة ولا يستقرون في مكان واحد الا لوقت قصير . وبالرغم من شعة مساحة طسمانية التي تمتد لمسافة ٢٦٠٠٠ ميل مربع وبالرغم من توفر المواد الغذائية فيها فقد كان عدد السكان الاصليين وقت اكتشاف الجزيرة يتراوح بين ٢٠٠٠٠ـ٤٠٠٠ نسمة فقط . وكان هؤلاء الصيادون يتعاونون في مجموعات لا يزيد عدد اعضاء الواحدة منها على الخمسين شخصا وكان هؤلاء في معظم اوقات السنة التي لا يخرجون فيها للصيد يعيشون في مجموعات اقل عددا . وقد اقاموا مانعات للرياح من اغصان الاشجار لتكون ملاجيء بدائية لهم يعيشون فيها . وعلى غرار اهل العصر الحجري القديم في العالم القديم كان الطسمانيون يجهلون صنع الفخار واعتمدوا على الاحجار المشظوفة لصنع الاتهم غير ان هذا لا يعني بان الاتهم الحجرية من حيث الفائدة المتوخاة منها يمكن مقارنتها مع آلات عصر البلايستوسين في اوربا اذ لا توجد صلة تاريخية بينها . وبالاضافة الى ذلك فاننا لا نعرف حتى الآن تاريخها في طسمانيا على وجه التحديد ولا تاريخ تعاقب ادوار صناعتها فيما عدا القول ان تلك الآلات كانت شائعة الاستعمال بين سكان الجزيرة في القرن التاسع عشر . لقد تميزت هذه الآلات بكونها شطايا ذات جانب واحد وكانت خلوا من الانواع الاسترالية التي يعود تاريخها الى الالف الثالث قبل الميلاد .

ومن حيث الصفات الجسمية توجد بين الطسمانيين صفة الرأس العريض والشعر الصوفي لزنوج اقزام غينيا الجديدة وجزيرة سليبس والفليبين والملايو وجزيرة اندامان مختلطة بصفات استرالية ويفسر البعض هذه الظاهرة باعتبار الاقزام أول من سكن استراليا ويرى هؤلاء ان الطسمانيين في جزيرتهم كانوا مرتبطين بالقارة في نهاية عصر البلايستوسين بدليل وجود جماعات منهم في البر القاري في هضبة اثرتون Atherton في اقصى جبوب غرب استراليا وفي جزيرة ملفيل Melville ويرى

آخرون ان الطسمانيين استراليين اصليين . اما العناصر القزمية من الزنوج فيمثلون خليطا من اقوام بحرية متأخرة .

والاستراليون الاصليون الذين يتميزون بالشعر المتموج واللون البني والرأس الطويل والجبهة المنخفضة والحجاج الناتئة والفك والاسنان الكبيرة وسقف الفم الواسع والحنك الصغير يمثلون مرحلة من مراحل تطور الانسان العاقل . ويظهر ان الاستراليين الاصليين وفدوا على القارة من جنوب شرق آسيا . وهناك جيوب استرالية مختلطة بعناصر أخرى في سيلان وجنوب الهند . والطريق الذي سلكه هؤلاء المهاجرون من جنوب شرق آسيا كان يمر في اندونيسيا بدليل العثور على جماجم متحجرة في واجاك بجزيرة جاوة ووجود اقوام لا يزال يعيشون في جزر سوندا الصغيرة Sonda ويضاف الى ذلك ان بعض الاستراليين بدلا من ان يتجهوا نحو الغرب استمروا شمالا نحو غينيا الجديدة ثم الى ميلانيزيا حيث لا يزالون يتميزون في كاليدونيا الجديدة وبسمارك ارخبيلاغو(٤٢) Bismark Archipelago . ان التجانس الشديد في مخلفات الآثار في المستوطنات التي سكنها الاستراليون الاصليون وبقايا الجماجم البشرية المتحجرة وخصوصا الجمجمة الاسترالية التي وجدت في شرفة نهر كيلور Keilor بشمال غرب ملبورن تشير الى ان استراليا كانت تسكنها مجموعة بشرية واحدة قبل الاستعمار الاوربي .

وكان الاستراليون الاصليون على غرار الطسمانيين مقيدين بالامكانات المحدودة في جمع الطعام(٤٣) والصيد غير انه كانت لديهم مؤسسات اجتماعية معقدة وقد قدر عدد المواطنيين الاصليين في استراليا عند اكتشافها بين ٢٥٠٠٠٠ـ٣٠٠٠٠٠ نسمة وكان هؤلاء موزعين على مساحة القارة البالغة ٢٫٩٤٨٫٣٦٦ ميلا مربعا وكانت معظم المناطق الغربية والوسطى قاحلة لا تأوى سوى قليل جدا من السكان ويتركز الاستراليون الاصليون في الوقت الحاضر في الاقاليم الساحلية الشمالية وفي المناطق ذات الغابات في

Scanned by CamScanner

الجنوب الشرقي وفي وادي دارلنك Darling ونهر مرى Murray ومن الجدير بالذكر ان مناطق المناخ والنبات الطبيعية وما تبعها من توزيع السكان قد تغيرت الى حد كبير اثناء استيطان الانسان في هذه القارة فعلى سبيل المثال كانت المنطقة الجرداء في نهاية عصر البلايستوسين تمتد الى الشمال من منطقتها الحالية كما ان منطقة سقوط الامطار في الجنوب كانت اكثر اتساعا في رقعتها بينما كانت المنطقة الجرداء في فترات الدفء تمتد الى الجنوب من منطقتها الحالية وان الغابات المدارية التي يشتد فيها سقوط المطر كانت منتشرة في ارنهن Arnhen وفي جنوب جزيرة كيب يورك Cape York ٠

وبالرغم من كثرة المخلفات الاثرية التي عثر عليها لحد الآن فان البحث عن استراليا في عصور قبل التاريخ التي تمتد فيما وراء الاستكشاف لا يزال في مهده بالنسبة لمناطق واسعة من القارة الاسترالية اذ لا يوجد دليل مقنع حتى الآن على حدوث هجرة الانسان الى استراليا قبل الدفء الذي حصل في نهاية عصر البلايستوسين ٠ وقد اعلن كثيرون عن وجود اثار للانسان في رواسب عصر البلايستوسين كل ما نشر في هذا الباب غير مقنع فعلى سبيل المثال البقايا العظيمة لحيوان عملاق منقرض ذي كيس من صنف الكنغر وفك الكلب الاسترالي وهو صنف من الكلاب التي استوردت من آسيا ومشط القدم لكنغر ضخم وكل هذه المتحجرات وجدت في الرواسب المحلية في بحيرة كولونكولاك Colongulac وقد جرت عليها اختبارات الفلورين وتبين ان فك الكلب كان احدث عهدا من عظام الحيوان ذي الكيس التي وجدت معه ٠ ان اقدم اثار الاستراليين الاصليين التي وجدت حتى الآن تتمثل في جمجمة كيلور بجنوب شرق استراليا وقد عثر عليها في مدرج نهري يعود تاريخه الى الفترة الدافئة وقد تبين من اختبار الفلورين انها تعود لنفس العصر الذي تعود اليه عظام الحيوانات التي وجدت معها في نفس الطبقة ٠ وتحدد تاريخ هذه الجمجمة باختبار كربون ١٤ الاشعاعي

Scanned by CamScanner

على الخشب المتفحم الذي وجد في ذلك المدرج النهري بحوالي الالف السابع قبل الميلاد(٤٤) .

ان المنطقة الوحيدة التي ظهر فيها تتابع الطبقات والحضارات بشكل سليم اثناء الحفريات الاثرية هي المنطقة الجنوبية الشرقية فقد كشفت الحفريات في ملجأ صخري في ديفون داونز Devon Downs المشرف على نهر مرى Murray الواقع على بعد ٦٠ ميلا شرق شمال شرق مدينة ادليد Adelaide عن ١٢ طبقة سكنية في انقاض بلغ سمكها ٢ر٦م ففي الطبقة السفلى وهي الطبقة الثانية عشرة وجدت شظايا حجرية ومثقب وفي الطبقات الحادية عشرة والعاشرة والتاسعة والثامنة وجدت رؤوس سهام حجرية مشظوفة صنعت على شكل ورقة النبات ويتراوح طولها بين ٥ر١ـ٥ر٧سم يسميها المواطنون بيري Pirri وكانوا يستخدمونها رؤوسا لحرابهم . ووجدت مع هذه آلات مثاقب عظمية قوية وبقايا حيوانات لبونة كالكنغر والفأر الهندي الضخم bandicoat والكنغر الصغير wallaby ووجدت في الطبقات السابعة والسادسة والخامسة رؤوس سهام عظمية ذات نهايتين حادتين يمسيها المواطنون الاصليون في الوقت الحاضر مودوك Muduk وهي تركب على رأس الحراب أو على جوانبها الامامية لتكون نتوءات حادة تزيد في فعاليات صيد الحيوانات والاسماك . وبالاضافة الى هذه الآلات وجدت شظايا حجرية يسميها المواطنون الاصليون تولا Tula لها حافات رقيقة حادةوتركب على مقابض خشبية لاستخدامها كنصال وفؤوس ومخارز وفي الطبقات الرابعة والثالثة والثانية والاولى وجدت اثار الماروندين Marundians واسلافهم . وقد تبين من اختبار كربون ١٤ الاشعاعي على الاصداف البحرية المستخرجة من الطبقة التاسعة انها تعود لعام ٢٥٤٠ ± ١٤٠ سنة قبل الميلاد وهناك تاريخ اقدم سجل بواسطة اختبار كربون ١٤ الاشعاعي ايضا وهو بحدود ٤٢٨٠ ± ١٢٠ سنة قبل الميلاد(٤٥) وقد جرى هذا الاختبار على المخلفات العضوية في موقع

Scanned by CamScanner

Taratanga في احدى جزر نهر مرى على بعد عدة اميال شرق ديفون داونز لقد وجدت في هذا الموقع هياكل عظم ادمية وبقايا عظـــام حيوانات ذا اكياس تعرف Opossom وعظام نوعين من الكنغر وعظام الســلحف والسمك ورؤوس سهام عظمية وآلات حجرية بدائية خشنة الصنع ولكنه مشظوفة ٠

وكان جنوب شرق آسيا(٤٦) في الالف الثالث قبل الميلاد يسكنه صيادون يصنعون في نهاية اسلحتهم وفي صناراتهم شظايا حجرية صغيرة حادة ٠ وفي فكتوريا وشرق ويلز الجنوبية الجديدة كانوا يستخدمون آلات دقيقة جدا هندسية الشكل تشبه مثيلاتها التي كانت تصنع في العالم القديم ٠ واكثر الآلات الحجرية انتشارا هي السهام التي يسميها المواطنون الاصليون بوندى Bondi نسبة الى موقع قريب من ميناء جاكسون بالقرب من سدني وكانت رؤوس تلك السهام مثلثة أو هلالية الشكل في كل من سنكلتون Singleton وباثورست Bathurst وفي ويلز الجنوبية الجديدة والى الشمال من نهر مرى وفي غرب ويلز الجنوبية الجديدة كان الصيادون يستخدمون السهام الاعتيادية التي يسمونها بيري مع عديد من الآلات الصغيرة الحجم جدا ٠ وفي المناطق الجنوبية الشرقية كان الصيادون يستخدمون رؤوس السهام العظمية بدل الحجرية من طراز بيري وبدل الآلات الصغيرة جدا ٠ اما الآلات الحجرية فكانت مقاشط نصلية تركب في مقابض لتعمل عمل الفؤوس ٠ وتشير آلات مودوك العظمية التي انتشرت في كثير من المواقع على انتقالها من اندونيسيا الى غينيا الجديدة ثم الى استراليا عن طريق كيب يورك ويعود تاريخهـــا حسب كربون ١٤ الاشعاعي الذي جرى على المواد العضويـــــة في موقع From's Landing الى عام ١٢٩٠ ± ٨٠ قبل الميلاد(٤٧) وقد وصلت تلك الآلات منطقة نهر مرى قبل نهاية الالف الثاني قبل الميلاد ٠ والى جانب هذه الآلات وجدت فؤوس حجرية من طراز تولا Tula في ديفون داونز كما وجدت شظايا هلالية الشكل ذات حافة مقعرة حادة يســـميها

Scanned by CamScanner

المواطنون الورا Iloura مع رؤوس سهام بوندى في ملجا صخرى في شرق ويلز الجنوبية الجديدة . ومن الجدير بالذكر ان شظايا الورا قد انتشرت على يد الصيادين في مناطق واسعة عديدة في جنوب شرق وجنوب غرب استراليا . وكان الاستراليون الاصيليون من الناحية الاقتصادية والفنية عند اكتشاف القارة الاسترالية في مستوى يقارب مستوى الاوربيين في شمال غرب اوربا عندما كانوا يعيشون في العصر الحجري المتوسط في الفترة مابين ١٠٠٠٠ـ٥٠٠٠ سنة مضت(٤٨) . وقد نجح هؤلاء في تطوير نظام معقد اساسه صلة القرابة واقاموا احتفالات متقنة لقبول الشبان في مجتمع الرجال وكانت ديانتهم تتركز على مجموعة من الاساطير تتعلق باعمال الاجداد وبالطوطمية وبحشد من العقائد مبنية على القرابة بين الافراد في نظام العشيرة وعلى عبادة حيوانات خاصة أو نباتات أو مظاهر طبيعية كالشمس والمطر وعلى سلسلة من المحرمات بشأن اكل أو قتل الطوطم . وكانت الاحتفالات الدينية تستهدف زيادة الصيد . وكانت الفنون تخدم الصيد والدين والعلاقة بينها تكاد لا تميز وكانت الرسوم طبيعية أو رمزية وهي تحفر في الصخور أو على الادوات والآلات الحجرية أو الدروع الخشبية أو قاذفات الحراب أو الاعمدة أو الاشجار التي تتخذ شواهد للقبور أو مكان الاحتفالات وفي بعض الحالات وجدت بين هذه الرسوم رسوم للبشر ولطبعات اقدامهم وعدة صيدهم والحيوانات التي كانوا يصيدونها كالنعامة الاسترالية emu والكنغر والضب والسلحفاة والاسماك ووجدت بعض هذه الرسوم في طسمانية مما يدل على ممارستها في وقت مبكر باستراليا كما وجدت رسوم ملونة باللون الاحمر في الملاجيء الضخمة شرق ويلز الجنوبية الجديدة مع رؤوس سهام من طراز بوندى . وكانت تلك الرسوم تمثل ايدي بشرية واسلحة الصيادين . ان فنون النحت في الصخور والرسوم قديمة جدا باستراليا في عصور قبل التاريخ(٤٩) وهي تذكرنا باحد العناصر العديدة للحياة الروحية التي كان يحياها الاستراليون الاصليون .

Scanned by CamScanner

لقد عرف تاريخ استراليا أول الامر على يد الهولنديين في اوائل القرن السابع عشر وفي منتصف هذا القرن استكشفت السواحل الشمالية والغربية والجنوبية للقارة كما استكشفت طسمانية وفي سنة ١٧٧٠ ابحر الكابتن كوك من نيوزيلندة شمالا فعرف السواحل الشرقية وفي الربع الثاني من القرن التاسع عشر حدث تقدم سريع في استكشاف المناطق الداخلية من القارة . ومنذ ذلك الوقت جرت دراسات ميدانية في المناطق البعيدة من القـــارة وعرفت عصـــــور قبل التاريخ في اســـــتراليا(٥٠) التي انتهت بدخول الاوربيين .

Scanned by CamScanner